

* أولاً — تعريف التوحيد *

التوحيد من مقتضيات الإيمان بالله -تعالى-، وهو أحد أركان الإيمان الستة، والتوحيد: أ. لغة: التوحيد تفعيل من (الواحد)، يقال: (وحد الشيء): أي جعله واعتقه واحداً.

ب. شرعاً: هو (إفراد الله بكل ما يختص به من عبادة قولية أو فعلية).

* ثانياً — أقسام التوحيد *

لا يتحقق التوحيد في قلب الإنسان إلا إذا اجتمعت فيه أقسامه الثلاثة، وهي:

1. توحيد الربوبية: بإفراد الله -تعالى- بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وسائر أنواع التصريف والتبيير في السماوات والأرض، وإفراده تعالى بالحكم، والتشريع، بإرسال الرسل وإنزال الكتب. قال تعالى: ﴿الْأَلَهَ الْحَقُّ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾ [الأعراف: 54]

ومما لا خلاف فيه أنك إذا رأيت إبرة أيقنت أن لها صانعاً، فكيف بهذا الكون العظيم الذي يبهر العقول ويحير الألباب أن يكون قد وجد بلا موجد؟! فالبراهين على ربوبيته تعالى لا تعد، وصدق الله إذ قال: ﴿أَمْ حُفِرُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]

ولا بد من الإشارة إلى أن توحيد الربوبية لا يدخل الإنسان في دين الإسلام إلا إذا أتى معه بتوحيد الألوهية.

2. توحيد الألوهية: يقال له: (توحيد العبادة)؛ لأنه إفراد الله -تعالى- بالعبادة، فلا يُعبد غيره.. قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163]

3. توحيد الأسماء والصفات: يكون بوصف الله -تعالى- وتسميته بما وصف وسمي به نفسه، وبما وصفه وسماه به رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وإثبات ذلك له من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تأويل ولا تعطيل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

* ثالثاً — من آثار التوحيد *

للتوحيد آثار نافعة نفعا عظيما على الفرد والمجتمع، وهذا بيانها:

* أ. آثار التوحيد على الفرد *

إذا استقر الإيمان في قلب أحد أثمر صفات حميدة منها:

1. العزة والكرامة: فالإنسان مخلوق كريم عند الله، خلقه في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، وصوره فأحسن صورته، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض. يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِزْقًا وَمِنْ أَطْيَفِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] لذلك يعتز المؤمن بإيمانه بالله -تعالى-، فيحيا عزيز النفس، عالي الهمة.

2. الطمأنينة والاستقرار النفسي: التوحيد يجعل المؤمن يشعر بالطمأنينة والهدوء والسكينة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مِمَّا فِيهِمْ﴾ [الفتح: 4] ويجعله يشعر بالاستقرار والأمن النفسي. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَسْكِنُونَ﴾ [الأنعام: 82] وهذا ما يؤدي إلى الثبات عند الشدائد، فلا جزع ولا اضطراب نفس، بل صبر على البلاء، ورضا بقدر الله.

3. الاستقامة والبعد عن الانحراف والجريمة: فإخلاص التوحيد لله -عز وجل- يوصل إلى استقامة المؤمن بالتزام الأمور واجتباب المنهيات. والاستقامة ضد الانحراف الذي يؤدي في الغالب إلى الوقوع في الجريمة.

* ب. آثار التوحيد على المجتمع *

التوحيد له أهمية كبيرة في تقوية الأواصر الاجتماعية، وآثاره على المجتمع واضحة جليلة، منها:

1. الأخلاق الحسنة والمعاملة: إذا رسخ التوحيد في المجتمع فإن أثر ذلك يظهر في أخلاقه وتعاملاته؛ لأن الأخلاق والتوحيد متلازمان، حيث إن ضعف التوحيد ينتج عنه ضعف الأخلاق، والعكس كذلك، ومن صور هذا الأثر ما يلي:

— أن المجتمع يكون عفيفا عن المحرمات، فلا يقترب من ممتلكات غيره بدون حق، ولا يعتدي على أعراض الناس.

— تسود القناعة بين أفراد المجتمع، لعلمهم أن الله الذي يوحده هو الذي يقسم الأرزاق. وما اكتوت المجتمعات بنيران الحسد والكراهية والبغضاء إلا بسبب فقدان القناعة.

— مجتمع التوحيد تسود الرحمة بين أفرادها، فيرحم الكبير الصغير، والقوي الضعيف، والصحيح المريض.

— يسود التسامح بين أفراد المجتمع، وهذا الخلق من الفضائل الهامة لاطمئنان النفوس واستقرارها.

2. الأخوة والتضامن: إذا رسخ التوحيد في المجتمع علم أفراد أنه إخوة، ودفعهم ذلك إلى التضامن فيما بينهم، وتجنب كل ما يهدم بنيانهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]

3. الوفاء بالعهود والأمانات: مجتمع التوحيد مجتمع يفي بالعهود، وغالب العهود تكون مرتبطة بالزمن، فتجد هذا المجتمع محترما للوقت، وما هلك المجتمعات إلا من عدم وفائها. وتجد هذا المجتمع يؤدي الأمانات إلى أهلها. وكل ذلك نابع من الإيمان العميق بالله -عز وجل-.

4. الصلاح والإصلاح: صلاح المجتمع مرتبط بتشبعه بالتوحيد، وإذا كان المجتمع صالحا قام بوظيفة الإصلاح بين المتخاصمين؛ لكي يبقى هذا الكيان متماسكا فينال رحمة الله -تعالى-. قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخُوهُمْ وَآخُوهُمْ إِنَّ اللَّهَ الْمَعْلُومُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجرات: 10]